حقيقة الاستشراق بين الخلفية الدينية والفكرية والواقع والمتطلبات

د.عبد القادر مربوح د. بلمهل عبد الهادي
جامعة وهران. 1 المركز الجامعي غليزان

الحمد لله ولي كل توفيق وملهم كل خير والهادي إلى كل حق والمتكفل بنصرة دينه وحماية كتابه، القائـــل: ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت: 42]. والصلاة والسلام الأتمان الأكملان علـــى سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما، ثم أما بعد:

إن استيعاب حقيقة الاستشراق يتطلب من الباحث تخصصا إلى قدر كبير، ذلك أنه يتطلب درجة أرقى من استيعاب المعرفة وجمعها وترتيبها وتحليلها واستخلاص النتائج منها؛ لأن المتتبع للحركة التاريخية للاستشراق ودوافعها، وأثر الدين والمصالح في الأهداف الاستشراقية، والخلفية الدينية والفكرية للاستشراق، يجد صعوبة في الفصل بين التنظير والشعارات العلمية عند المستشرقين وبين الواقع الذي يكاد يتناقض مع ذلك. ومن هنا فما حقيقة الاستشراق؟ وما أثر الخلفية الدينية والفكرية في واقع بحوث المستشرقين؟ ثم بعد ذلك ما متطلبات الفكر الإسلامي في التعامل مع الاستشراق؟

بداية من الضروري جدا من الناحية المنهجية، تحديد مفهوم المصطلح المراد دراسته لغة واصطلاحا، وهذا لتصوره تصورا مجملا، ذلك أن الحكم على الشيء فرع عن تصوره، والحكم على الاستشراق يتأسس من تحديد عناصره المكونة له، وضبط مفهومه في اللغة وفي الاصطلاح من خلال ذلك.

أولا: الاستشراق بين اللغة والاصطلاح:

1. مفهوم الاستشراق في اللغة العربية:

جاء في الصحاح للجوهري: شرقت الشمس تشرق شروقا وشرقا أيضا، أي طلعت. وأشرقت، أي أضاءت. وأشرق الرجل أي دخل في شروق الشمس. وأشرق وجهه، أي ضاء وتلألأ حسنا. والشرق أيضا: الشجا والغصة. وقد شرق بريقه، أي غص به. قال عدى بن زيد:

لو بغير الماء حلقى شَرِقٌ كنت كالغصان بالماء اعتصاري.

وشرقت الشمس، من باب نصر ودخل، وشرق بريقه، من باب طرب، والمشرق المصلى، والتشريق أيضا: الأخذ في ناحية المشرق، يقال: شتان بين مشرق ومغرب.[1]

وجاء في معجم مقايس اللغة لابن فارس: (شرق) الشين والراء والقاف أصلٌ واحدٌ يدلُّ على إضاءةٍ وفتحٍ. من ذلك شَرَقَت الشّمسُ، إذا طلعت. وأشرقت، إذا أضاءت. والشُّرُوق: طُلوعها. ويقولون: لا أفعل ذلك ما دَرَّ شارقٌ، أي طَلَعَ، يُرَاد بذلك طُلُوع الشمس. وأيّام التَّشْرِيق سمِّيت بذلك لأنَّ لحوم الأضاحِي تُشرَّق فيها للشَّمس. والمَشْرِقَانِ: مَشْرِقَا الصَّيفِ والشِّتاء. والشَّرْق: المَشْرِق. وقال قوم: إنَّ اللحمَ الأحمرَ يُسمَّى شَرْقاً. فإنْ كان صحيحاً فلأنَّه من حُمرته كأنه مُشْرِق.

ومن قياس هذا الباب: الشّاةُ الشّرقاء: المشقوقة الأُذُن، وهو من الفَتح الذي وصفناه.[2]

وفي باب القاف والشين والراء لفت الخليل بن أحمد إلى الأصول اللغوية للشرق:[3]

شرق: شَرِقَ فلان بريقه، والشَّرَقُ بالماء كالغص بالطعام، وهو أن يقع في غير مساغه، وتَشْرَقُ بالقول الذي قد أذعته، والشَّرْقُ خلاف الغرب، والشُّروقُ كالطلوع، وشَرَقَ يَشرُقُ شُروقاً، ويقال لكل شيء طلع من قبل المَشْرِق.

نسخة غير قابلة للطباعة
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والجانب الشَّرقيّ: الصقع الذي يلي المشرِقَ. واشتِقاقُ أيام التَّشريقِ من تشريقهم اللحم في الشمس بمنى.

والمُشرِق: المنير، ژ ڈ ڈ ڤ ڤ ڦ ڦ ڄ .[الزمر:69] أضاءت بنورٍ يسطع فيها.

وأما في المنجد في اللغة العربية المعاصرة فجمع بين الاهتمام والتوجه وموضوع الدراسة كما يلي: (4)

- اسْتَشْرَقَ: صار مُستشرقا، اهتمَّ بالدراسات الشرقية.
- استشراق: اتجاه الغربيين نحو الاهتمام بتراث الشرق وحضارته ولغاته.
- مستشرق: ج مُستشرقون: أديب غربي يهتم بدرس تُراث الشرق وحضاراته ولغاته.

وأما في معجم اللغة العربية المعاصرة فأضاف إلى ذلك هدف الاستشراق من دراسة الشرق: (5)

- استشرق الأوربيُّ: اهتمَّ بالشرق والدراسات الشرقيَّة.
- ومستشرق: يهتمّ بدرس تراث الشّرق وحضارته ولغاته.
- استشراق: أسلوب غربيّ للسيطرة على الشرق وإعادة بنائه وبسط النفوذ عليه.
- الحركة الاستشراقيَّة: حركة تجلَّت في اهتمام الغربيِّين بتراث الشّرق وحضارتِه ولغاته.

ومن هنا يتبين أن كلمة استشرقَ يستشرق، استشراقًا، فهو مُستشرِق، كلمة مولدة وعصرية، ومأخوذة من الفعل (استشرق)، ومن كلمة (شرق)، واسم الفاعل من استشرق مستشرق: مَنْ يهتمّ من الأوربيّين بالدراسات الشرقيّة. (6)

وكلمة الاستشراق مشتقة من (شرق)، وهي تعني مشرق الشمس، وترمز إلى مجال الاهتمام بهذا الحيز المكاني من الكون وهو الشرق.

وأما إذا أضيف إليها الألف والسين والتاء والتي تعني طلب دراسة ما يتعلق بالشرق؛ فإن معناها طلب علوم الشرق وآدابه وأديانه بصورة شاملة، ومنهم من يقول: ليس القصد منه الشرق المكاني الجغرافي، وإنما هو الشرق المقترن بالشروق والنور والهداية.

والسين في استشرق تدل على الطلب وتعني الاهتمام والتوجه والدراسة والبحث. (7)

والاستشراق تعريب للكلمة الإنجليزية Orientalism مأخوذ من الاتجاه إلى الشرق.

وعلى هذا فالاستشراق طلب علوم الشرق ولغاتهم، ويسمى من يقوم بذلك (مستشرق)، وجمعه (مستشرقون)، وما ينجزونه يسمى (استشراقا).

وبالتالي فالبحث الذي يقوم به الانسان الغربي تجاه العالم الشرقي وتحديدا العربي والاسلامي يسمى استشراقا.

2. مفهوم الاستشراق في اللغة الإنجليزية والفرنسية:

وأما الاستشراق في اللغة الإنجليزية فيعرف بـــ (Orientalism).

ويعرف المستشرق بـــ (Orientalist). وهما مأخوذان في اللغة الإنجليزية من كلمة (Orient) التي هي بمعنى الشرق. (8)

وأما في اللغة الفرنسية: (9)

اِسْتِشْراق:Orientalisme; etudes orientales أي العلم بالشؤون الشرقية.

مستشرق: ج: مستشرقون: orientaliste أي عالم باللغات والشؤون الشرقية.

وحقيقة مصطلح كلمة الاستشراق أنها ترجمة لكلمة (Orientalism)، حيث ظهرت في إنجلترا عام (1779م)، وأدرجت في " قاموس الأكاديمية الفرنسية " في القرن التاسع عشر، وبالتحديد في عام (1838م)، أي أن هذا المصطلح خرج قبل القرن التاسع عشر، وبرز وتحدث عنه عدد من الغربيين، ثم أدرج في ذلك القاموس في القرن التاسع عشر

نسخة غير قابلة للطباعة
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ميلادي. والذي يعني: [10]

étude de l'orient de ses peuples , de leurs civilisations, etc.

3.المفهوم الاصطلاحي للاستشراق:

حتى نتمكن من الحكم على هذا الفكر الغربي من جهة، وحتى نتبين أثره على الفكر الاسلامي والدراسات الاسلامية من جهة أخرى، لا بد من التطرق لتحديد مفهوم مصطلح الاستشراق والمستشرقون تصورا إجماليا.

وإن الباحث عن مفهوم الاستشراق ليجد اختلافا واسعا في تحديد مفهومه، وسبب ذلك يرجع إلى الزاوية والموضوع المنظور إليه منها من جانب، وإلى كون الاستشراق حركة فكرية فلسفية غربية متعددة الأهداف والدوافع من جانب آخر كما سيتبين ذلك في هذا المبحث.

فقد عرفه إدوارد سعيد باعتبارات متعددة هي كالتالي:

1.من حيث أنه يعبِّر عن جانب من الحضارة المادية والثقافية الأوربية،-ثم بعدها الأمريكية_ ويمثِّلها ثقافيا، بل وفكريا، باعتبار "الاستشراق أسلوبا للخطاب؛ أي للتفكير والكلام تدعمه مؤسسات ومفردات وبحوث علمية، وصور ومذاهب فكرية_، بل وبيروقراطيات استعمارية وأساليب استعمارية." [11]

2.من حيث أن الاستشراق مبحث أكاديمي، وأن المستشرق هو "كل من يعمل بالتدريس أو الكتابة أو إجراء البحوث في موضوعات خاصة بالشرق، سواء كان ذلك في مجال (الأنثروبولوجيا)؛ أي علم الانسان، أو علم الاجتماع، أو التاريخ، أو فقه اللغة، وسواء كان ذلك يتصل بجوانب الشرق العامة أو الخاصة." (12)

وبذلك فهو مدخل الغرب إلى الشرق لمعرفة كل ما يتعلق بهم.

3. من حيث أنه أعم وأشمل من ذلك فهو "أسلوب تفكير يقوم على التمييز الوجودي والمعرفي بين ما يسمى الشرق وبين ما يسمى الغرب". [13]

4.من حيث نقطة الانطلاق عامة إلى حدٍّ بعيد في القرن (18م)، "بصفته المؤسسة الجماعية للتعامل مع الشرق، والتعامل معه معناه التحدث عنه، واعتماد آراء معينة عنه، ووصفه، وتدريسه للطلاب وتسوية الأوضاع فيه، والسيطرة عليه، وباختصار بصفة الاستشراق أسلوبا غربيا للهيمنة على الشرق، وإعادة بنائه، والتسلط عليه." [14]

5. من حيث أنه نمط من الاسقاط الغربي على الشرق وإرادة السيطرة عليه، باعتبار أن "العلاقة بين الغرب والشرق علاقة قوة وسيطرة، ودرجات متفاوتة من الهيمنة المركبة." (15)

ومن هذه الاعتبارات خلص إدوارد سعيد إلى أن العلاقة بين الشرق والغرب علاقة قوة وسيطرة، وأن من نتائج ذلك العلاقة بين الاستشراق وبين السلطة والتسلط والسيطرة والهيمنة، وبالتالي "من المحال تفهم الأفكار والثقافات والتاريخ أو دراستها دراسة جادة، دون دراسة القوة المحركة لها، أو بتعبير أدق دون دراسة تضاريس القوة أو السلطة فيها."(16)

وأما أحمد سمايلو فيتش فاعتبر أن الاستشراق علم ذو حدود واسعة وأحيانا غير واضحة، وأورد تعريفا يطلق على المستشرق "العالم المتمكن" —على اختلاف كبير بين المسلمين والغربيين في حقيقة العلم ومقاييسه وشروطه- وهو أن المستشرق عالم متمكن من المعارف الخاصّة بالشرق ولغاته وآدابه. (17)

والاستشراق عند رودي بارت هو "علم الشرق أو علم العالم الشرقي." (18)

وهو تعبير أطلقه الغربيون على الدراسات المتعلقة بالشرقيين شعوبهم، وتاريخهم، وأديانهم، ولغاتهم، وأوضاعهم الاجتماعية، وبلادهم، وأرضهم، وحضارتهم، وكل ما يتعلق بهم.

نسخة غير قابلة للطباعة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ووصف المستشرق بالعالم تجاوز في حقيقة العلم وشروطه ومقاييسه وضوابطه ومناهجه، فالاستشراق "ليس علما بأي مقياس علمي، وإنما هو عبارة عن إيديولوجية خاصة يراد من خلالها ترويج تصورات معينة عن الاسلام، بصرف النظر عما إذا كانت هذه التصورات قائمة على حقائق أو مرتكزة على أوهام وافتراءات." (19)

نعم يمكن القول بأن الاستشراق ليس علما بأي مقياس علمي، ولكن هذا حكم بمقاييس العلم عند علماء المسلمين، لا بمقاييس المستشرقين التي تعتبر كل ما هو منظم من العلم، كما سيتبين في المبحث الثاني.

ولكن في حقيقة الأمر أننا أمام حملة صليبية علمية أخطر-بمقاييس المستشرقين-، خاصة إذا كانت الكتابات والبحوث منطلقاتها عدائية، وتشكيكية، وغريب أن يسمى هذا الهوس علما بهذا الاعتبار. (20)

ومن الباحثين من نظر إلى الاستشراق نظرة عامة باعتبار المكان والموضوع الذي يدرسه المستشرق وهو تراث الشرق، فاعتبروه بأنه "اصطلاح يشمل طوائف متعددة تعمل في ميادين الدراسات الشرقية، فهم يدرسون العلوم والفنون والآداب والديانات والتاريخ وكل ما يخصّ شعوب الشرق مثل: الهند وفارس والصّين واليابان والعالم العربي وغيرهم من أمم الشرق". (21)

وتأسيسا على هذه التعاريف فإن الاستشراق من حيث النظرة الشاملة لموضوعاته التي يتطرق إليها هو "دراسة علوم الشرق، وأحواله وتاريخه، ومعتقداته، وبيئاته الطبيعية والعمرانية والبشرية، ودراسة لغاته ولهجاته وطبائع الأمة الشخصية في كل مجتمع شرقي، فلكل أمة مشخصاتها، ودراسة الأشخاص والهيئات والتيارات الفكرية والمذهبية في شتى صورها وأنواعها." (22)

وهناك من ربط الاستشراق بالدراسات الغربية لتراث الشرق فاعتبره "دراسة يقوم بها الغربيون لتراث الشرق، وبخاصة كل ما يتعلق بتأريخه ولغاته وآدابه وفنونه وعلومه وتقاليده وعاداته." (23)

أما مالك بن نبيّ فقد صرح بثنائية الغرب والاسلام في تعريفه حيث قال: "إننا نعني بالمستشرقين؛ الكُتَّاب الغربيّين الذين يكتبون عن الفكر الإسلامي وعن الحضارة الإسلامية". (24)

ومن هذه الحيثية المهمة يمكن اعتبار المستشرقين بأنهم أولئك الباحثون الغربيون الذين تخصّصوا في دراسة اللّغة العربيّة والحضارة العربيّة وقضايا العالم العربي وبالدين الإسلامي على وجه الخصوص.

وهناك من وضع تعريفا يعبر عن الخلفية الفكرية والدينية للاستشراق ودوافعه باعتبار أنه "تيار فكري تمثل في الدراسات المختلفة عن الشرق الاسلامي، شملت حضارته وأديانه وآدابه ولغاته وثقافته، ولقد أسهم هذا التيار في صياغة التصورات الغربية عن العالم الاسلامي، معبّرا عن الخلفية للصراع الحضاري بينهما." (25)

أو تعريفا ينبه فيه على دوافع الاستشراق التنصيرية والاستعمارية والسياسية والثقافية باعتباره أنه "علم تاريخ شعوب الشرق وحضارتهم ولغاتهم وآدابهم وفنونهم ومعتقداتهم، نشأ بدافع ديني في الغرب، جعل دراسته في خدمة التنصير(التبشير) الذي مهّد للاستعمار.

فالاستشراق في مراحله الأولى عاش في كنف الكنيسة ترعاه وتوجهه، فلعب دورا كبيرا في التحضير للاستعمار السياسي والثقافي والعسكري." (26)

أما ساسي سالم الحاج فأقر بتعذر وصعوبة تعريف الاستشراق تعريفا جامعا مانعا كتعاريف المناطقة، ولذلك حدد الاستشراق "بالدراسة المتقصية المتنوعة المتعددة الأغراض، التي مارسها الغربيون لمحاولة فهم الشرق، والتعرف إلى كنوزه الحضارية وعاداته وتقاليده وحضارته وديانته، وكل منحى من مناحي حياته، مهما كان الغرض الدافع إلى هذه الدراسة،

نسخة غير قابلة للطباعة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

سواء أكانت لأهداف دينية أو عسكرية أو سياسية، أو اقتصادية، أو علمية، وهذه الدراسة الضخمة أنتجت لنا ما نطلق عليه الاستشراق." (27)

وأما تحديده لمفهوم الاستشراق بمفهوم عام فكان بقصد فصل مفهوم الاستشراق عن الأهداف والأغراض بقوله: "إن المفهوم العام للاستشراق لا يخرج عن كونه تلك الدراسات والمباحث التي قام بها الغربيون لمعرفة الشرق من جميع جوانبه." (28)

وعرفه محمود حمدي زقزوق بإطلاقين أحدهما عام والثاني خاص وهما: (29)

أ.كلمة مستشرق بالمعنى العام: تطلق على كل عالم غربي يشتغل بدراسة الشرق كله؛ أقصاه، ووسطه، وأدناه، في لغاته وآدابه وحضاراته وأديانه.

وهنا يشمل كل التغيرات الجغرافية والحضارية التي طرأت على مفهوم الشرق في مختلف العصور.

ب. أما المعنى الخاص: لتعريف الاستشراق فيعني الدراسات الغربية المتعلقة بالشرق الاسلامي في لغاته وآدابه وتاريخه وعقائده وتشريعاته وحضارته بوجه عام.

وهذا المعنى الخاص لمفهوم الاستشراق هو الذي ينصرف إليه الذهن في عالمنا العربي الإسلامي عندما يطلق لفظ استشراق أو مستشرق وهو الشائع أيضاً في كتابات المستشرقين المعنيين.

خاصة وأن الفكر الاستشراقي يمثل في معظمه حركة فكرية غربية مضادة للإسلام والمسلمين. (30)

وبعد هذا العرض لأهم تعاريف الاستشراق والمستشرقين يمكن التنبيه إلى الملاحظات التالية:

1.الاستشراق حركة فكرية فلسفية غربية متعددة الأهداف، ويتطرق لجميع مناحي الحياة الشرقية والاسلامية، ويُعنى خاصة بدراسة الإسلام والمسلمين، ويشمل ذلك كل ما يصدر عن الغربيين من دراسات تتناول قضايا الإسلام والمسلمين في العقيدة والسنة والشريعة والتاريخ، وغيرها من مجالات الدراسات الإسلامية الأخرى.

2. يمثل الاستشراق نظرة الدارسين الغربيين تجاه الشرق، وبالأخص دين الإسلام وكل ما يتعلق به، تحت أغراض متعددة، ومناهج ووسائل وأساليب مختلفة.

3. الاستشراق منهج وأسلوب غربي للسيطرة وبسط النفوذ خاصة على العرب والمسلمين.

4.اختلاف مفهوم الاستشراق عند الدارسين، إنما سببه تطور الاستشراق وفق الظروف التي تحيط به، وعلى هذا فإن "الاهتمام بأحوال الشرق والكشف عن عقليات شعوبه وأسراره وأمزجته وحضارته، وتلمس مواضع القوة والضعف لهذه الشعوب توطئة لحملات التبشير وموجات الاستعمار، ثم بعد انحسار الاستعمار المباشر أصبح الاستشراق يمهد الأرضية الصالحة للاستعمار الاقتصادي والسياسي والثقافي لشعوب الشرق بصفة عامة وشعوب الشرق الأدنى بصفة خاصة." (31)

5. وقد مر الاستشراق بمراحل متعددة من دينية إلى سياسية إلى علمية وفي كل مرحلة يتميز بخصائص مخالفة للمرحلة التي تليه تبعا للأغراض التي يتناولها والموضوعات التي يدرسها، ومن هنا اعتبره ساسي الحاج ظاهرة، ذلك أنه يوجد بوجود أسبابه ويتغير في شكله ومميزاته بتغير أغراضه وأهدافه. (32)

6. وبالتالي فإن الاستشراق وبالرغم من التغيير في أدواته بما يقتضيه الزمن والظروف والواقع إلا أنه لم يغير من مفهوماته(33).

نسخة غير قابلة للطباعة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

7. وأما المقصود من مناهج المستشرقين كمصطلح مركب فهو الطرق والأساليب التي المتبعة في عرض الدراسات الاستشراقية إلى الغرب تارة، وإلى الشرقيين تارة أخرى، باعتبار أن المنهج يمثل الطريق الذي تعرض فيه الفكرة والموقف(34).

ثانيا: استمرار الاستشراق لخدمة مصالح الغرب:

إن التوظيف الغربي للاستشراق جعل من المستشرقين ليسوا مثقفين يبحثون عن الحقيقة لأنها حقيقة، ولكنهم يبحثون عن جانب التطبيق منها في مجال المصلحة السياسية، لذلك فإن عمل المستشرقين باعتباره يتعدى مجال التنظير الفكري إلى مجال التطبيق الذي يخدم المصلحة السياسية، لا يخلو من بعد عملي قد يستغل في ميدان السياسة والانتفاع (35)

ومصالح الغرب تقضي بالحاجة المستمرة في الاقتران بين الاستشراق كفكر، والمنفعة كفلسفة، والسياسة كتطبيق وتوقيع. ومن هنا، فليس خفيا اهتمام الحكومات الغربية بدعم الحركة الاستشراقية ماديا ومعنويا وسياسيا.

فهذا رودي بارت يُقِر بهذا الدعم بقوله: "الاستشراق في ألمانيا حاليا وفي العالم الأوربي الحديث كله مادة علمية معترف بها من الجميع .. نعترف شاكرين بأن المجتمع ممثلا في الحكومات والمجالس النيابية، يضع تحت تصرفنا الإمكانات اللازمة لإجراء بحوث الاستشراق وللحفاظ على نشاطنا التعليمي في هذا المضمار .. وما تطلبه الدولة والمجتمع منا –معشر المستشرقين–هو بصفة عامة العمل كمدرسين وباحثين متخصصين، أما التصرف في أمر الموضوعات الخاصة التي ينصبُّ عليها الدرس والبحث فمتروك لنا." (36)

ولكن الحقيقة التي يثبتها واقع الاستشراق أن اهتمام الحكومات الغربية بدعم الحركة الاستشراقية ماديا ومعنويا، لم يكن عبثا ولا مجانا، بل إن مصالح الغرب تقتضي ذلك، والغرب غير مستعد في فلسفته أن يتخلى عن هذه المصالح بأي حال من الأحوال، ومعلوم أنه لا بد لمن ينفق أن يحكُم ويَتحكم، ولأجل ذلك سخرت الدراسات الاستشراقية لأغراض الغرب المشبوهة، ولمخططات الدول الاستعمارية.

وقد استخدم الغرب المستشرقين من رحالة وقناصل ورجال استخبارات من أجل السيطرة على الشرق والهيمنة عليه، واستعان بالإضافة إلى أولئك برجال الدين الذين اتخذوا التبشير وسيلة ظاهرية لتحقيق أهداف سياسية واستعمارية، وكان هذا الأخير وسيلة فعالة لخدمة المصالح والسياسة الاستعمارية الغربية. (37)

وبالتالي فهناك "ارتباط وثيق بين مصالح الغرب واهتماماته ودعم الحركة الاستشراقية، وهذا أمر يجعل استمرار الاستشراق متوقفا على استمرار الدعم المالي الذي تقدمه الحكومات والهيئات المختلفة، واستمرار الدعم المالي يتوقف على مدى تشبث الغرب بمصالحه في العالم العربي والاسلامي، والتشبث بهذه المصالح حقيقة واقعة تؤكدها جميع الشواهد، وليس هناك أي بارقة تلوح في الأفق توحي بأن الغرب على استعداد للتخلي عن هذه المصالح، وما دام الأمر كذلك فإن الحاجة إلى الاستشراق في الغرب ستظل قائمة، بل ستزداد إلحاحا." (38)

إن حاجة الغرب للاستشراق مستمرة ما دامت فلسفة الغرب قائمة على المصلحة والمنفعة، وإن دعم الحركة الاستشراقية هدفه توجيه سياسة الاستعمار بما تقتضيه مصالحه ومنفعته الخاصة، وتقديم المقترحات والاستشارات لمعرفة نقاط إضعاف المسلمين من جهة، ولاستتراف خيراتهم الطبيعية من جهة ثانية، ولتسهيل إخضاعهم والتحكم فيهم من جهة ثالثة، بتشويه صورة الإسلام والمسلمين، وإثارة الشبهات حول القرآن والسنة، تحت غطاء البحث العلمي والموضوعية.

وهذه العلاقة بين الاستشراق ومصالح الغرب في حقيقتها إنما هو تعبير عن التنسيق والتخطيط الاستراتيجي للأهداف المحددة التي تريد الدول الغربية تحقيقها، خاصة وأن "الحركة الاستشراقية على العموم متماسكة الأهداف، ومدعومة من

نسخة غير قابلة للطباعة
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قبل حكوماتها، التي ترسم لها الموضوعات الفكرية والأبعاد المستقبلية." (39)

وأما انحسار الاستعمار العسكري الغربي عن العالم العربي والاسلامي، فلا يعني نهاية خدمة الاستشراق والمستشرقين، ولا القضاء على الحركة الاستشراقية، بل إن توجيه سياسة حكومات الغرب من خبراء الاستشراق يلعب في العصر الحالي دورا مهما في زرع الخلاف بين المسلمين، وتفريقهم، وإفقارهم، وتجهيلهم، واحتكار العلوم والتكنولوجيا عنهم.

والحكومات في الغرب اليوم تبني سياساتها وقراراتها باتباع وتطبيق توصيات المستشارين والخبراء بالدول الاسلامية من المستشرقين، بل وتتخذها كمبادئ وفلسفة في التعامل السياسي والاقتصادي والاجتماعي والتربوي والاعلامي، مع دول المسلمين وشعوبهم.

وما يجب التنبيه عليه ههنا النقاط المهمة التالية:

- الاستشراق كظاهرة، متجدد بتجدد دوافعه وأسبابه، وأنه ما دام الصراع بين الغرب والشرق مستمرا فإن الاستشراق مستمر وإن غيّر من أسمائه أو أساليبه أو خططه.
- هذا التداخل بين المصالح الغربية والبحوث والدراسات الاستشراقية جعل معظم بحوث المستشرقين في الدول المستعمرة ذات أهداف مشبوهة، لذلك لم تلتزم الأمانة العلمية والمنهج العلمي الأكاديمي.
- الاستشراق المتجدد في العصر الحالي تتحكم في وجهته قوى سياسية واقتصادية وفكرية ترعاها دول الغرب بما يحقق مصالحها ومنفعتها، وإنه لشرٌ على المجتمعات الاسلامية يزداد تسلطا وجورا في إطار تيار التخريب والتغريب.

ثالثا: الخلفية الدينية والفكرية للاستشراق.

هنالك قاسم مشترك بين ظاهرتي الاستشراق والتنصير، يتمثّل في محاولة التشكيك في دين الإسلام الذي انبهر به العالم الغربي، دفاعا عن المسيحية واليهودية من جهة، وهجوما على سر الانبهار الموجود في القرآن والسنة من جهة أخرى.

وتمحورت فلسفة الاستشراق الديني والفكري في ذلك حول ثلاثة منطلقات تعتبر الركائز الأساسية للدراسات الاستشراقية وهي (40):

1. تشويه الإسلام في الدراسات الدينية والتاريخية.
2. إدخال مفاهيم الغرب للطلاب الدارسين الموفدين من البلاد الشرقية.
3. القضاء على قوة العرب والمسلمين بالسيطرة الاستعمارية والسياسية والاقتصادية.

والدفاع تحت هذه الخلفية الدينية العدائية ينبئ عن وسائل الهجوم الفكرية والاستعمارية المترجمة للصراع الحضاري بين العالم الاسلامي والغربي، والتي يتخذها المستشرقون في ضرب الأركان والأسس والمعالم والقواعد الإسلامية دون مراعاة لا الحقائق العلمية ولا التاريخية ولا الاجتماعية ولا الحضارية ولا اللغوية ولا الثقافية ولا الانسانية.

بل "ولا يعرف العقل ولا المنطق حدا لما يقوم به المستشرقون من تحريف للتاريخ الإسلامي، وتشويه لمبادئ الإسلام وثقافته، وإعطاء المعلومات الخاطئة عنه وعن أهله، وهم كذلك جاهدون بكل الوسائل لينتقصوا من الدور الذي أداه الإسلام في تاريخ الثقافة الانسانية." (41)

فالخلفية الدينية العدائية للإسلام والمسلمين هذه، لا تسمح للباحث أن يقف على الحقيقة العلمية، فما الذي يجعل عالماً استشراقياً مثل (وليام موير) يصف القرآن الكريم بأنّه "من ألدّ أعداء الحضارة والحريّة والحق الذين عَرَفَهم العالم حتى الآن." (42)

نسخة غير قابلة للطباعة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إنه عداء وحقد دفين، وافتراء مفضوح، يعبر عن النظرة العدائية السابقة، وذلك حينما يجعل القرآن –وهو كتاب الحضارة الانسانية جمعاء؛ باعتباره يعبر عن منهج التعامل مع الخالق والكون والحياة–، ألدّ أعداء الحضارة، ويجعل من القرآن —وهو كتاب الحق والحرية–ألدَّ أعداء الحرية والحق.

ولقد أسهم المستشرقون بمثل هذا الافتراء والكذب في صياغة التصورات الغربية عن العالم الاسلامي، وذلك بتشويه صورة الإسلام والمسلمين، والتشكيك في قرآنهم ونبيهم ومعتقداتهم وفقههم وثقافتهم، وتصوير الإسلام على أنه خطر على الغرب، يقول (ماكسيم رودنسون) في كتابه جاذبية الإسلام: "لقد كان المسلمون خطرا على الغرب، قبل أن يصبحوا مشكلته." (43)

ومن التصورات الغربية المشوهة عن صورة الإسلام والمسلمين، والمشككة في القرآن وفي النبي محمد صلى الله عليه وسلم، ذلك الخيال والجهل المركب لكثير من الغربيين بفعل الدراسات والعلم بالشيء على خلاف الواقع، ومن ذلك الجهل المركب للمستشرق البريطاني مونتجومري واط، من أن الإسلام هو العدو الأكبر، وأن محمدا صلى الله عليه وسلم أمير الظلام، وأنه مخادع شهواني كاذب مختلق لكتاب خرافي هو القرآن (44)

إن هذه القراءة بهذا الجهل المركب والخيال الذي يناقض حقيقة الإسلام باعتباره دين الخالق، وحقيقة محمد صلى الله عليه وسلم الصادق الأمين، ونبي الرحمة للعالين، وخاتم رسل الله لخلقه، تعبر عن الحقد الذي ملأ قلبه حتى فاض بهذا الاختلاق الفاحش، وإن ذلك ليدل على سوفسطائية قديمة في تاريخها، متجددة على لسان مثل هذا المستشرق وأمثاله ممن تتبنى هذا الجهل المركب والافك المبين. لذلك "فإذا وصفنا المستشرقين المتحاملين على الإسلام بأنهم السوفسطائيون الجدد، فنحن بذلك لم نتجن عليهم على الإطلاق، ولم نتجاوز التعبير عن الواقع الذي يعيشونه مع الإسلام المفترى عليه." (45)

ويبرر مونتجومري واط لوسيلته الفاسدة والمفسدة هذه بغايته من تشويه صورة الإسلام بقوله: "إن تشويه صورة الإسلام بين الأوربيين كان ضرورياً لتعويضهم عن الشعور بالتخلف." (46)

فتعويض الشعور بالنقص والتخلف بين الأوروبيين لا يبرر وسيلته تلك، والتي كان لها الأثر البالغ في الصورة المغلوطة والمشوهة عن الإسلام والمسلمين في الغرب.

ولكن عقدة النقص هذه كمنطلق لتشويه صورة الاسلام وما يتعلق به، قد تغيرت إلى الانطلاق من عقدة التفوق، ذلك أن الخدمات التي خدم بها الاستشراق المصالح الغربية؛ الدينية والاستعمارية، والسياسية والاجتماعية، وكونه في مجمله عوناً على بسط الهيمنة الغربية بأشكالها المختلفة على العالم غير الغربي، بما فيه العالم الاسلامي، جعلت "معظم إنتاجه المعرفي قد سما بالتعالي على المدروسين وإشعار هؤلاء المدروسين بلهجة الرقي والتفوق الذهني عليهم، إنه الشعور الوسواسي الواعي أو غير الواعي بالتفوق والميل إلى الهيمنة." (47)

وبالتالي فتشريح هيكلية الاستشراق ومناهجه وعرضها بدقة، وتبين حقيقة وجوده، يثبت أن الاستشراق سوف يظل على الدوام عقبة في سبيل الفهم المتبادل بين الشرق والغرب، خاصة وأن مرور السنين على الاستشراق أثبتت عقم الدراسات الاستشراقية بخصوص توفير أساس صلب لمعرفة الشرق. (48)

رابعا: واقع المسلمين بين الردة الفكرية وواجب الجهاد المعنوي المحتم:

1. إعراض المسلمين عن مقاومة موجة الاستشراق الفكري:

إن إعراض المسلمين عن مقاومة موجة الاستشراق الفكري، جعل واقع المسلمين اليوم مرير إلى درجة اليأس والقنوط، والتبرم بتعاليم الإسلام، ثم التخلف الفكري والعلمي والاقتصادي.

نسخة غير قابلة للطباعة
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهذا التخلف بين المسلمين لا يتحمل الإسلام وزره كما يقول مالك بن نبي فهذا التخلف يعد "عقوبة مستحقة من الإسلام على المسلمين لتخليهم عنه، لا لتمسكهم به كما يزعم الزاعمون." (49)

ومن المسلّم به شرعا وعقلا "إن جهاد اليوم، وإن خلافة النبوة، وإن أعظم القربات، وأفضل العبادات، أن تقاوم هذه الموجة اللادينية التي تجتاح العالم الإسلامي وتغزو عقوله ومراكزه، وأن تعاد الثقة المفقودة إلى نفوس الشباب والطبقات المثقفة بمبادئ الإسلام وعقائده وحقائقه ونظمه، وبالرسالة المحمدية، وأن يزال القلق الفكري والاضطراب النفسي اللذان يساوران الشباب المثقف، وأن يقنعوا بالإسلام عقليا وثقافيا، وأن تحارب المبادئ الجاهلية التي رسخت في النفوس وسيطرت على العقول علميا وعقليا، وأن تحل محلها المبادئ الإسلامية باقتناع وإيمان وحماسة." (50)

2.زرع الشك والإلحاد والنفاق في عقول المسلمين:

مما هو مقرر في ميدان الصراع الفكري أن "كل فراغ أيديولوجي لا تشغله أفكارنا ينتظر أفكارا منافية معادية لنا" (51) وهذا فعلا ما يتعرض له الفكر الإسلامي في خضم ضعف مواجهة الحركة الفكرية الاستشراقية في ميدان الصراع الفكري بين المسلمين والمستشرقين.

قال أبو الحسن الندوي: "لقد مضى علينا قرن كامل وأروبا تغتصب شبابنا وعقولنا، وتنبت في عقولنا الشك والإلحاد والنفاق، وعدم الثقة بالحقائق الايمانية والغيبية، والايمان بالفلسفات الجديدة الاقتصادية والسياسية، ونحن معرضون عن مقاومتها، معتمدون على ما عندنا من تراث، مضربون عن الإنتاج الجديد، معرضون عن فلسفاتها ونظمها ومحاسبتها محاسبة علمية، ونقدها وتشريحها كتشريح الأطباء الجراحين، متعللون بالبحوث السطحية المستعجلة، وبالزيادة في ثروتنا العلمية القديمة." (52)

وأحسن طريقة للرد على ذلك هو بوضع عقيدة التثليث في النصرانية على محك العقل، ونقده نقدا علميا.

3.انهيار العالم الإسلامي في الايمان والعقيدة:

الواقع بما يفرزه من أزمات فكرية واجتماعية واقتصادية وسياسية وثقافية، وما يعكسه من صراعات وحروب وتفرق في العالم الإسلامي إنما سببه ضعف الايمان والعقيدة من جهة، والانسياق خلف المادية الغربية التغريبية.

والتغريب هو "تيار يهدف إلى صبغ حياة المسلمين بصبغة غربية وإلغاء شخصيتهم المستقلة" (53)، ولقد بذر المستشرقون بذرة التغريب في كتاباتهم الفكرية، وتوصياتهم السياسية لدولهم، وبذلوا كل الجهود في سبيل تحقيق ذلك، مدركين أن التأثير والتأثر الفكري سينعكس حتما على واقع وحياة المسلمين، وكان لهم ذلك بالفعل، إذ "فوجئنا في العصر الأخير بانهيار العالم الإسلامي في الايمان والعقيدة، وملك زمام الأمور في البلاد الإسلامية جيل لا يؤمن بمبادئ الإسلام وعقيدته، ولا يتحمس لها، ولا تربطه بالشعب المسلم المؤمن البريء إلا القومية الإسلامية أو المصالح السياسية." (54)

هذا التغريب أصبح حقا يشكل الخطر الجسيم على العقيدة والتراث ويضعف ثقة المسلمين بأنفسهم وبالتطلع لكل تقدم حضاري واقتصادي، ولا غرابة في ذلك، فالانهيار في العقيدة انهيار في نتائجها وثمارها من السمو الفكري، والقوة الاقتصادية، والعزة النفسية، والتقدم العلمي.

4.واجب الجهاد المعنوي المحتم:

الغيرة الدينية التي يجب أن يمتاز بها المسلم تقتضي الاشتغال بالرد على الاستشراق، وقبول تحديات موجة الاستشراق الفكري والتنصيري، بالرد على المسيحية ونقد العهد القديم والعهد الجديد (التوراة والانجيل) من جهة، وإزالة الأوهام

نسخة غير قابلة للطباعة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والشكوك والتناقضات الواضحة في كتابات المستشرقين من جهة أخرى، بالبحث والتحقيق والتصنيف في المواضيع الإسلامية.

ومن هنا فالنشاط العلمي والفكري يعد من الجهاد المعنوي في هذا الصراع الفكري والقلق النفسي الذي يعانيه الشباب المسلم في زمن الردة الفكرية والحضارية، والردة العقائدية في بعض الأحيان التي كانت تغزو شبابنا المتخرج من الجامعات الأوروبية، بل ومن جامعاتنا أيضا، لذلك فإن "العالم الإسلامي في حاجة إلى منظمات علمية تهدف إلى انتاج الأدب الإسلامي القوي الجديد الذي يعيد الشباب المثقف إلى الإسلام بمعناه الواسع من جديد، ويحررهم من رق الفلسفات الغربية التي آمن بها كثير منهم بوعي ودراسة، وأكثرهم بتقليد وتسليم، ويقيم في عقولهم أسس الإسلام من جديد، ويغذي عقولهم وقلوبهم، إنه في حاجة إلى رجال في كل ناحية من نواحي عالم الإسلام عاكفين على هذا الجهاد." (55)

والمقصود من هذه المنظمات والمجمعات والمؤسسات العلمية هو "إعادة الثقة في الشباب المسلم المثقف بجدارة الإسلام، ليس للبقاء والاستمرار، بل لقيادة الركب البشري، وحل المعضلات العصرية، والايمان الجديد القوي بصاحب هذه الرسالة صلى الله عليه وسلم، وبأنه هو خاتم الرسل وإمام الكل، ومنير السبل، وسيرته وتعاليمه، والدراسات المقارنة والبحوث العلمية التي تجمع بين التعبير الصحيح عن الإسلام، وإقناع العقل الجديد." (56)

5. المواجهة الفكرية ضرورة فكرية ودينية وحضارية:

إن النظر للاستشراق باعتباره حركة فكرية، يتطلب من المسلمين مواجهته مواجهة فكرية، بل وإن الحاجة الملحة لتقضي بالتنادي لكشف المغالطات والمكائد الاستشراقية؛ الدينية والفكرية والحضارية، ذلك أن "المواجهة الفكرية الجادة هي الطريق الصحيح لمجابهة أية تيارات مناوئة للإسلام والمسلمين." (57)

خاصة وأن "السياسة الدولية اليوم ترى أن الاسلام يقف عائقا في سبيل تحقيق المصالح الغربية، المتمثلة في الاستقلال السياسي والاقتصادي للعالم الاسلامي." (58)

والفكر الإسلامي يمتلك القدرة الذاتية النابعة من الصدق والحق والحكمة والعلم، المقررة والمؤسسة في كتاب الله تعالى، وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، التي يواجه بها أي تيار أو مذهب فكري أو إقتصادي أو فلسفي.

"لقد كانت التيارات الفكرية الأجنبية القديمة – التي كانت تمثل تحديا للإسلام والفكر الإسلامي الأصيل في عصور الإسلام الزاهرة– كانت حافزا للمسلمين في تلك الأيام الخوالي للوقوف أمامها بقوة وصلابة، وقد كانت المواجهة على مستوى التحدي بل تفوقه، فقد هضم الفكر الإسلامي تلك التيارات هضما دقيقا واستوعبها استيعابا تاما، ثم كانت له معها وقفته الصلبة وبالأسلحة الفكرية نفسها، فالمواجهة إذن كانت مواجهة فكرية." (59)

ولهذا ومما تقتضيه المواجهة بين الاستشراق باعتباره يمثل الفكر الغربي المادي من جهة، والمسيحي اليهودي من جهة أخرى، وبين الاسلام باعتباره يمثل دين الخالق الحق الملخص في كلمة؛ لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، أن يقابل الفكر بالفكر، والكلمة بالكلمة، والباطل بالحق، والدعاوى بالدليل والبرهان.

فالذي ينتج فكرا يتعلق بالإسلام والمسلمين، يشكك فيه المسلمين بنبيِّهم وقرآنهم وعقيدتهم وشريعتهم وفقههم ولغتهم وحضارتهم وتراثهم، ويركز على إحياء القوميات، وإثاره الخلافات والنعرات بين المسلمين، عن طريق تحريف الحقائق بما يخدم أغراضهم، وتَصَيُّدِ الحوادث الشاذة والضعيفة في التاريخ لإشاعة البلبلة والنزاع والخلاف، ألا تكون مواجهته واجب شرعي، وضرورة اجتماعية، وقيمة خلقية، وجهاد بالكلمة؟

إن الاستشراق يعتبر من أقدم الحركات الفكرية الغربية المستخدمة للعلم تحت شعارات الموضوعية والنقد العلمي وغيرها،

نسخة غير قابلة للطباعة
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والمستغلة لذلك في تفسير النص القرآني وفق مناهج الغربية المادية وهذا، كوسيلة لدراسة الشرق من ناحية، وتحقيق تغريبه وفرض الهيمنة عليه من ناحية أخرى.

وإن الرد الفكري المؤسس على الموازين العلمية بصرف النظر عن تأخره أو ضعفه أو قلة تنظيمه أو إخلاصه في مسعاه يدخل في باب حرب الكلمة، "فالحرب الآن بين الإسلام والتيارات المناوئة له حرب أفكار، والمعركة معركة فكرية، ولهذه المعركة أدواتها التي يجب التسلح بها، فالخسران في هذه المعركة أشد وطأة وأقوى تأثيرا وأعظم فتكا من خسارة أية معركة حربية أيا كان حجمها." (60)

فما أهمّ ما يقتضيه ويتطلبه الصراع الفكري بين المستشرقين والمسلمين، وما أخطر التقاعص والتولي عن زحف المستشرقين على المسلمين، وما أقسى أن تنقل المعركة إلى ديار المسلمين ليتواجه المسلمون في ما بينهم بأفكار استشراقية وهم يعلمون أو لا يعلمون.

والأهم في دراسة الفكر الاستشراقي هو بيان مدى علمية هذه الدراسات أو موضوعيتها، نعم إن الإسلام يتفق مع المنطق العلمي، وإن الموضوعية هي في خدمة الإسلام وفي صالحه، "والأمر الذي لا ينبغي أن يغيب هنا عن الأذهان هو أن الإسلام بوصفه دين الله الحق، لا يخشى عليه من أية تيارات فكرية مناوئة، أيا كان شأنها وانتشارها وقوتها، طالما وجد هذا الدين من أتباعه من يستطيع فهمه فهما سليما، وإدراك أهدافه ومراميه إدراكا واعيا، فإذا توفر مثل هذا الفهم السليم والإدراك الواعي فيستضح أنه لا توجد هناك تيارات فكرية يمكن أن تتحدى الإسلام، بل العكس هو الصحيح، وهو أن الإسلام نفسه هو الذي يتحدى، أما إذا افتقد الإسلام لدى أتباعه الوعي السليم والفهم الصحيح لأصوله وغاياته؛ فإن موقف هؤلاء الأتباع-مهما حسنت النيات-لن تخرج عن مواقف الصديق الجاهل الذي هو أضر بالإسلام من العدو العاقل." (61)

ومن هنا فلا بد من الإكتفاء الذاتي في البحث والتأليف كما قال الندوي "ولسد تأثير المستشرقين السلبي وإصلاح هذا الفساد يجب أن يقوم علماء الإسلام ورجال البحث والتفكير بالكتابة حول الموضوعات العلمية، ويقدموا للعالم الإسلامي المعلومات الإسلامية المؤكدة، ووجهة نظر الإسلام الصحيحة، مع مراعاة الجوانب المحمودة التي يمتاز بها المستشرقون، بل والزيادة فيها، كما يجب أن تكون كتاباتهم ومؤلفاتهم ممتازة من حيث أصالة التحقيق وسعة الدراسة وعمق النظر، وتأكد المصادر وصحتها، واستدلالها القوي، بالنسبة لكتابات المستشرقين ومؤلفاتهم، وأن تكون حاملة لجميع نواحي الإتقان والصحة، بعيدة عن الأخطاء والنقائص العلمية(62)."

وفي الأخير فمن أهم النتائج المتحصل عليها في هذا البحث ما يلي:

1. إن الاختلاف الواسع في تحديد مفهوم الاستشراق، يرجع سببه إلى الزاوية والموضوع المنظور إليه منها من جانب، وإلى كون الاستشراق حركة فكرية فلسفية غربية متعددة الأهداف والدوافع من جانب آخر.

2. يعتبر الاستشراق من أقدم الحركات الفكرية الغربية التي درست تراث الشرق عبر العصور تحت دوافع مختلفة، ولكنه قَوِي في القرن التاسع عشر خاصة في دراسة كل ما يتعلق بالإسلام تزامنا مع بروز الدول الاستعمارية.

3. إن الموقف المعادي للإسلام من المستشرقين؛ والمتمثل في تكذيب وإنكار الرسالة من جهة، وفي إثارة الشبهات والتشكيك في القرآن من جهة أخرى، يعتبر امتدادا لموقف الكافرين واليهود والنصارى في عهد الرسالة ثم الحروب الصليبية وحتى اليوم، وإنه لا يزال يكتسب أبعادا متجددة وخطيرة في جوانبه الدينية والسياسية والثقافية والتعليمية والاقتصادية على الأمة العربية والإسلامية.

نسخة غير قابلة للطباعة
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

4. إن اهتمام الحكومات الغربية بدعم الحركة الاستشراقية ماديا ومعنويا، لم يكن عبثا ولا مجانا، بل إن مصالح الغرب تقتضي ذلك، ومن باب أنه لا بد لمن ينفق أن يحكُم ويَتَحكم، فإنه قد سخرت الدراسات الاستشراقية لأغراض الغرب المشبوهة، ولمخططات الدول الاستعمارية، وهذا التداخل بين المصالح الغربية والدراسات الاستشراقية جعل معظم بحوث المستشرقين ذات أهداف مشبوهة، أبعدتها عن الأمانة العلمية وعن شروط ومواصفات المنهج العلمي.

5.إنه لمن المؤسف الإقرار بضعف وفقر الوسائل والدراسات في الأوساط العلمية في العالم الإسلامي والعربي، إلى درجة أن تعتمد على مؤلفات ودراسات المستشرقين في المواضيع الإسلامية، بل وتعدها مصدرا علميا له أهميته وقيمته، ويخيل إليهم أنه مما ينفرد في موضوعه.

6. الغيرة الدينية التي يجب أن يمتاز بها المسلم تقتضي الاشتغال بالرد العلمي على الأوهام والشكوك والتشكيك والتناقضات الواضحة في كتابات الكثير من المستشرقين، بالبحث والتحقيق والتصنيف في المواضيع الإسلامية، وقبول تحديات موجة الاستشراق الفكري اليهودي والتنصيري.

7. ما أخطر التقاعس والتولي عن زحف المستشرقين على المسلمين، وما أقسى أن تنقل المعركة إلى ديار المسلمين ليتواجه المسلمون في ما بينهم بأفكار استشراقية وهم يعلمون أو لا يعلمون، وإنه لمن الجهاد المقدس في ميدان الصراع الديني والفكري والحضاري أن يواجه الفكر بالفكر، والباطل الممنهج بالحق المنهجي، والوسائل المتعددة بوسيلة الاخلاص في البحث عن الحقيقة.

ختاما؛ فإنه مهما يكن من اختلاف الباحثين من المسلمين والمستشرقين في تحديد حقيقة الاستشراق، فإنه يمكن تقرير حقيقة من حيث العموم ألا وهي أن الاستشراق يعتبر من أقدم الحركات الفكرية الغربية التي درست تراث الشرق عبر العصور، وإنه كان ولا يزال يكتسب أبعادا متجددة وخطيرة في جوانبه الدينية والسياسية والثقافية والتعليمية والاقتصادية على الأمة العربية والإسلامية، بل إن واقع الاستشراق معاد ومستمر وإن نطاقه تأثيره لا يزال قائما حتى وقتنا الحاضر.

الهوامش

1.ينظر: اسماعيل بن حماد الجوهري: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط: 04، دار العلم للملايين، لبنان، (1407ه-1987م)، ج:06، ص: 194.

2- ينظر: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا: معجم مقاييس اللغة: تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، (1399ه-1979م)، ج:03، ص: 264.

3- ينظر: الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين مرتبا على حروف المعجم، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، ط:01، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (1424ه_2003م)، ج:05، ص: 38.

4- ينظر: صبحي حموي وآخرون: المنجد في اللغة العربية المعاصرة، ط: 02، دار المشرق، بيروت، لبنان، (2001م)، ص: 765.

5 ينظر: أحمد مختار عبد الحميد عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة: ط: 01، عالم الكتاب، (1429ه-2008م)، ج:02، ص:.1192

6- ينظر: أحمد مختار عبد الحميد عمر: نفس المرجع: ج:02، ص:.1193

7- ويقابل مستشرق كلمة مُستعرِب، وهو اسم فاعل من استعربَ، وهو من اعتنى من غير العرب بأدبهم وحضارتهم وثقافتهم. ينظر: أحمد مختار عبد الحميد عمر: المرجع نفسه: ج:02، ص:1477.

8- ينظر: أحمد سمايلوفتش: فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، دار الفكر العربي، مدينة نصر، القاهرة، (1418ه-1998م)، ص:26.

نسخة غير قابلة للطباعة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

[9]- ينظر: دانيال ريغ: السبيل الوسيط معجم عربي فرنسي المعروف؛ لاروس: مكتبة لاروس، باريس، (1987م)، ص:330. ينظر: شدياق: قاموس نوبل المزدوج (عربي فرنسي- فرنسي عربي)، دار الكتاب الحديث، الجزائر، (1435ه- 2014م)، ص:581. ينظر: أحمد سمايلوفتش: نفس المرجع، ص:26

[10]- Cécile Labro: Dictionnaire HACHETTE: Editions :2014 , Paris ; p :1161.

11. إدوارد سعيد: الاستشراق (المفاهيم الغربية للشرق) ترجمة: محمد عناني، ط:01، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، (2006م)، ص:.44

12. إدوارد سعيد: نفس المصدر: ص:.44

13. إدوارد سعيد: المصدر نفسه: ص:.45

14.إدوارد سعيد: المصدر السابق: ص:45/.46

15. إدوارد سعيد: نفس المصدر السابق: ص:.49

16. إدوارد سعيد: المصدر نفسه: ص:49.

17. ينظر: احمد سمايلوفتش: المرجع السابق، ص:25/22.

18.رودي بارت: الدراسات الاسلامية والعربية في الجامعات الألمانية: ترجمة: مصطفى ماهر، القاهرة، (1967م)، ص: .11

19. محمود حمدي زقزوق: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري: دار المعارف، النيل، القاهرة، (1417ه- 1997م) ص: .126

20. ينظر: محمد الغزالي: دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين: ط:07، نهضة مصر للطباعة والنشر، (2005م)، ص:11.

21. عفاف صبرة: المستشرقون ومشكلات الحضارة: دار النهضة العربية، القاهرة، (1980م)، ص:09.

22. عبد المتعال محمد الجبري: الاستشراق وجه الاستعمار الفكري، دراسة في تاريخ الاستشراق وأهدافه وأساليبه الخفية في الغزو الفكري للإسلام: ط:01، مكتبة وهبة القاهرة، (1416ه-1995م)، ص:13.

23. مالك بن نبي: إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الاسلامي الحديث، ط:01 دار الارشاد، بيروت، (1388ه-1969م)، ص:05.

24. شوقي أبو خليل: الاسقاط في مناهج المستشرقين والمبشرين: دار الفكر المعاصر، بيروت لبنان، (1419ه-1998م)، ص:06/05.

25. شوقي أبو خليل: نفس المرجع، ص:06/05.

26.ساسي سالم الحاج: نقد الخطاب الاستشراقي (الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الاسلامية): ط:01، دار المدار الاسلامي، بيروت، لبنان، ودار الكتب الوطنية، ليبيا، (2002م)، ج:01، ص:.20

27. ساسي سالم الحاج: نفس المرجع، ج:01، ص:.22

28. ينظر: محمود حمدي زقزوق: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري: ص: 18.

29. ينظر: محمد خليفة حسن أحمد: آثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية: ط:01، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، القاهرة، (1997م)، ص:09.

30. ساسي سالم الحاج: المرجع السابق: ج:01، ص:.20

31. ينظر: ساسي سالم الحاج: نفس المرجع السابق: ج:01، ص:.22

32. ينظر: علي بن ابراهيم النملة: نقد العقل المعاصر (صناعة الكراهية بين الثقافات وأثر الاستشراق في افتعالها): دار الفكر، دمشق، سوريا، (1429ه-2008م)، ص:15.

33. ينظر: سعدون الساموك: الاستشراق ومناهجه في الدراسات الاسلامية: ط:01، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، (1431ه-2010م)، ص:.31

34. ينظر: مالك بن نبي: إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الاسلامي الحديث: ص:.42

35. رودي بارت: الدراسات الاسلامية والعربية في الجامعات الألمانية: ص: .14

36. ينظر: ساسي سالم الحاج: نقد الخطاب الاستشراقي، ج:01، ص:.77. ينظر: خميس سبع الدليمي: مقال: موقف المستشرقين في

نسخة غير قابلة للطباعة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

القراءات القرآنية، مجلة: جامعة كركوك للدراسات الانسانية، العدد:02، مج:05، السنة:(2010م)، ص:02/.03

37. محمود حمدي زقزوق: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، ص:.58

38. ينظر: منذر معاليقي: الاستشراق في الميزان، ص:25.

39. ينظر: محمد الغزالي: دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين، ص:08.

40 Muir William: Life of Mahomet from the Original Sources, London, p: 506.

41M.Rodinson: La Fascination de l islam, éd Maspero, Paris : 1980. P :19.

42Watt, W.M. Muhammad at Medina, Oxford Press, London,1966,p324-325.

43. محمود حمدي زقزوق: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، ص:.127

44. وليم مونتجومري واط: تأثير الإسلام على أوربا في العصور الوسطى، ترجمة عادل نجم عبو، دار الكتب، جامعة الموصل (1982م)، ص:131.

45. ينظر: علي بن ابراهيم النملة: نقد العقل المعاصر: المرجع السابق: ص:15.

46. ينظر: ضياء الدين ساردار: الاستشراق صورة الشرق في الآداب والمعارف الغربية: ترجمة: فخري صالح، ط:01، أبو ظبي، الامارات، (1433ه-2012م)، ص:18.

47. مالك بن نبي: مشكلة الأفكار في العالم الاسلامي: القاهرة، (1971م)، ص:76.

48. أبو الحسن الندوي: المصدر السابق، ص:79.

49. مالك بن نبي: إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الاسلامي الحديث، ص:45

50. أبو الحسن الندوي: المصدر السابق، ص:80.

51. انع بن حماد الجهني: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، ج: 02، ص: 563.

52. أبو الحسن علي الحسني الندوي: المصدر نفسه، ص:80.

53. أبو الحسن الندوي: المصدر السابق، ص:80.

54- أبو الحسن الندوي: المصدر السابق، ص:43/42.

55- محمود حمدي زقزوق: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، ص:.137

56. أصف حسين: صراع الغرب مع الاسلام (استعراض للعداء التقليدي للإسلام في الغرب): ترجمة: مازن مطبقاني، ط:01، دار الوعي للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، (1434ه-2013م)، ص:.21

57. محمود حمدي زقزوق: نفس المصدر، ص:.130

58. محمود حمدي زقزوق: المصدر السابق، ص:.130

59.محمود حمدي زقزوق: المصدر نفسه، ص:.15

60. أبو الحسن علي الحسني الندوي: الإسلاميات بين كتابات المستشرقين والباحثين المسلمين، ص:20.

نسخة غير قابلة للطباعة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com